الأنصار

لمواجهة الحرب الصليبية

مجلة إلكترونية نصف شهرية

إسلامية – متكاملة – مستقلة

العدد الحادي والعشرون/ 15 رمضان 1423 هـ / 20 – 11 - 2002 م

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾

محتويات العدد

البريد الإلكتروني : al-ansar0@mailcity.com

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان الأخير والصفعة الجديدة

بعد فترة ليست بالطويلة ظهر الإمام بن لادن – حفظه الله – على العالم من خلال بيانه الأخير حول العمليات الجهادية التي استهدفت مصالح الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة، وقد كان عبارة عن شريط سمعي بثته قناة الجزيرة، ثم تناقلته باقي القنوات الفضائية.

والجديد في هذا البيان أنه يعد صفعة إعلامية جديدة لأمريكا وحلفائها، بل إن المراقبين ليجزمون أنه نزل كالصاعقة على عصابة البيت الأبيض وحلفائها، فقد عمل الإمام على تجاوز حكومات هذه الدول ليوجه خطابا مباشراً إلى شعوبها، باعتبارها مسؤولة عن تصرفات حكوماتها وقادرة على الضغط عليها من أجل التوقف عن المشاركة في العدوان على المسلمين، وقد بدا واضحا أنه استهدف شرح حقيقة الصراع القائم لتكون الشعوب على بينة من أمر حكوماتها، خصوصا عندما ركز الإمام حفظه الله على ما أسماه بضرورة الاستواء في البضاعة، لتستحضر شعوب تلك الدول المحاربة تبعات تأييدها ودعمها للحرب على المسلمين، إذ رغم أن المجاهدين لا يحرصون على استهداف الشعوب إلاّ تواجد البعض في ما يمكن أن يصنف داخل دائرة المصالح الحيوية للعدو قد يعرضهم لأن يذوقوا مما يذوق منه أبرياء المسلمين.

كما يعد البيان دليلا إضافيا على مسلسل الإخفاقات الأمنية رغم "الإصلاحات" الجديدة، فبعد الادعاءات التي أطلقتها آلة الدجل الأمريكي حول إمكانية وفاة الإمام – حفظه الله – جاء البيان ليدحض هذه الافتراءات كلها، وليضع عصابة البيت الأبيض وحلفاءها أمام الحقيقة التي كانت كأنها غصة في حلوقهم، حتى لقد ظهرت حالة من الارتباك الشديد في الموقف الأمريكي في تعليقهم على البيان. فمرة يثبون أنه صوته، ومرة يحتاجون إلى اجتماع الخبراء، وربما في المرة القادمة قد يحتاجون في التعرف على صوته إلى الاستعانة بفريق كامل من العرافين والكهنة القادرين تفعيل دور الشياطين ومخاطبة أرواح الغائبين!!

لقد مضى زمن الاستحواذ على الأداة الإعلامية، ومضى معه زمن الدجل بلا حدود، لأن التحول الذي أحدثه التقدم التقني فتح أفاقا واسعة للرأي الآخر، إضافة إلى أن محاولة بعض المنابر الإعلامية الارتقاء إلى مقام الأداء المهني والابتعاد عن خط الإعلام الأعور (يرى بعين واحدة) قد اقتربت بالشعوب من المعلومة الحقيقية، مما أدى إلى افتضاح سياسة الدجل التي لا تتورع عن الاستهزاء بعقل المشاهد.

ويرى كثير من المراقبين أن إنجازات الحضور الإعلامي للمجاهدين عموما و"القاعدة" على وجه الخصوص يعد دليلا قاطعاً على أنهم قد استطاعوا الانتقال – في هذا الميدان – إلى موقع الدفاع إلى موقع الهجوم، ولعل البيان الأخير للإمام – حفظه الله – واحد من هذه الطلقات المباركة.

التحرير

﴿ فاتبع سببا ﴾

سيف الدين الأنصاري

كمـــا هو معلوم فإن الغرض من القصص القرآني هو أخذ العبرة واستخراج الفوائد المدخرة في التجربة المعروضة، أولاً لأنهـــا أحداث ميدانية، مما يضفي على الفكرة التي تحملها صفة الاقتراب الكبير من الإمكان والواقعية، وثانياً لأنها أحداث منـــــتقاة بعناية ربانية، مما يعطيها قيمة خاصة وغير عادية، فوقوع الاختيار الإلهي عليها من بين أحداث حركة الحياة كلِّها يشير إلى أنها تحمل معاني كبيرة ودلالات عظيمة، كما يشير إلى أن هذه المعاني والدلالات لها وزنها الثقيل في تشكيل التصور الإسلامي لحركة الحياة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوســف:111]، الأمر الذي يستدعي منا أن نعطـــي للقصـــص القرآني حظه من النظر والتأمل، وأن نرتفع به عن كونه مجرد سرد روائي لحكايات قديمة، لأن حقيقة الأمــر في القصص القرآني هي أنه تذكير بأحداث تاريخية يهدف إلى التوعية بالمعاني الثابتة والدائمة والتي تعد بمثابة السنن الضابطة لحركة الحياة.

وقصة ذي القرنين التي حكاها لنا القرآن الكريم في سورة الكهف واحدة من القصص القرآني الذي يهدف إلى لفـــت الانتباه إلى تلك السنن، فهي قصة مليئة بالعبر التي تقدم فوائد جمة إلى الجماعة المسلمة، خاصة فيما يتعلق بمجال حركة الصراع، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِـــي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ [الكهف:83-85]، قال القرطبي: (أي اتبع سببا من الأسباب الـــتي أوتيها)[التفســـير:48/11]، والسبب في الآية هو الطريق الذي يمكن أن يوصله إلى فتح مغرب الأرض الذي كـــان هدفـــا في تحركه الجهادي، أي أن ذا القرنين تحرك في اتجاه تفعيل دور المقدمات التي بين يديه من أجل الوصول إلى النتائج المرغوبة، وهذا هو الذي نسميه مبدأ الأخذ بالأسباب، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾.

قد يبدو للبعض — من خلال النظرة الأولى — أن هذا المبدأ معروف ومتفق عليه، وأن الذين يخالفون في هذا المبدأ هم حفنة من المتصوفة المنعزلين عن الحياة، والذين لم يبق لهم أيُّ وجود يذكر إلاّ في بعض الزوايا النائية، أو هم — في أحسن أحوالهم — أرقام محدودة غير قادرة على التأثير في الساحة، مما يعني أن جل الأمة الإسلامية مع مبدأ الأخذ بالأسباب، ولذلك لا داعي للتركيز على هذا الموضوع لأن الأزمة الحقيقة في الوقت الراهن — وفي ظل طغيان الفكر المادي — هي أزمة توكلٍ على الله وليست أزمةَ أخذٍ بالأسباب.

والحقـــيقة أن الأمر كذلك إذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية ضيقة، وهي زاوية الأهداف التي لا تخرج عن إطار المصالح الدنيوية، فأنت لست في حاجة إلى الحض على مبدأ الأخذ بالأسباب ولا حتى إلى التذكير به إذا كـــان الموضوع متعلقا بالوظيفة أو الشقة أو السيارة.. إلخ، لأن هناك قوة دفع ذاتي تجعل الناس يأخذون بكل الأســـباب المتاحة المؤدية إلى هذا النوع من الأهداف، بل قد يصل الأمر إلى الحد الذي تُتجاوز معه الضوابط

الشـــرعية في سبيل الوصول إلى النتائج المرغوبة، إذن أمام هذه الحالة لا نحتاج إلى الكلام عن الأخذ بالأسباب بقدر ما نحن بحاجة إلى ترشيد المؤمنين وتوجيههم إلى ضرورة التوكل على الله من خلال الاطمئنان إلى فاعلية قدره في الحياة.

لكـــن المشكلة تبرز عندما نكون بصدد الأهداف المطلوبة باعتبار الدافـــع الشرعي ابتداء، وخاصة تلك التي يتطلب الوصول إليها نوعا من الجهد والتضحية، كأن يكون الهدف – مثلا – هو رفع الظلم عن المســـلمين، أو هـــو الـــتمكين للديـــن، أو الرد على عدوان القوى المتغطرســـة.. هنا تبرز المشكلة إلى السطح، لأن حب السلامة وإيثار مصـــلحة الـــذات على مصلحة الأمة سوف يدفع باتجاه إيقاف مبدأ الأخـــذ بالأسباب، فالأسباب هذه المرة مكلفة، وتحمل ثقل التضحية بكل أنواعها وألوانها، ولذلك غالبا ما يتم – في مثل هذه الحالات – اســـتدعاء الأفكار والمفاهيم التواكلية لمعالجة الموضوع، في محاولةٍ إلى التخلص من تبعات التسليم بمبدأ الأخذ بالأسباب.

• هـنا تـبرز المشـكلة إلى السـطح، لأن حـب السـلامة وإيـثار مصلحة الـذات على مصلحة الأمـة سوف يدفـع باتجاه إيقاف مبدأ الأخذ بالأسباب، فالأسباب هذه المرة مكلفة، وتحمل ثقل التضـحية بكـل أنواعهـا وألوانها.

وقـــد تطـــرح هذه المحاولة بصيغة "قديمة" بحيث يتم التركيز على مجموعـــة من المعاني الغيبية – كالتباشير التي حملتها النصوص القرآنية والنـــبوية – لتُتخذ ذريعة إلى التملص من مسؤولية الأخذ بالأسباب التي تُوصل إلى النتائج، فكل الأهداف – عـــند هؤلاء – قد تكفل بتحقيقها المهدي المنتظر!! ولا داعي للأتعاب والمشاكل التي يستدعيها السير في خط التدافع مادام أن الله سوف يخرج رجلا يملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا، أي أن منهجية "التصوف الروحي" هـــذه تعتمد على إبراز دور إرادة الله في مقابل الحكم بالإعدام على إرادة البشر، ثم تتخذ من هذا المغالطة في المفاهيم العقدية حيلة تتهرب بها من التكاليف الشرعية.

أما الصيغة الجديدة التي تُطرح بها تلك المحاولة المشؤومة فهي الحديث عن النتائج بعيدا عن مقدماتها المناسبة، أي أن هـــذه المدرســـة لا تنفي – من حيث التناول النظري – مبدأ الأخذ بالأسباب، ولا تلغي دور الإرادة البشـــرية في تحقـــق الأهداف، بل بالعكس تثبت ذلك وربما تدعو إليه، ولكنها عندما تأتي إلى الأهداف التي تتطلـــب التضـــحيات الكـــبيرة فإنهـــا تضع للوصول إليها وسائل لا تصلح أن تكون أسبابا مباشرة في تحقق الأهـــداف، لا شرعا ولا كونا، فالبعـــض – مثلا – يرى أن الظلم والاعتداء المسلط على المسلمين إنما يرفع بالاجتهاد في الصبر على تلقي الضربات، إلى أن يصاب الآخر بعقدة الإحساس بالذنب فيكُف عن الظلم (خط

اللاعـــنف مطلقـــا)!! والـــبعض الآخر يرى أن التمكين للدين وإقامة دولة الإسلام إنما يتحقق بنوافل الصلاة والصـــيام، وأنـــه عـــلى قـــدر ارتفاع الأداء في هذا الاتجاه يكون الاقتراب من لحظة الحسم (خط التربية بلا حـــدود)!! وهكذا، فهذه مجرد أمثلة لإبداعات مدرسة "التصوف الفكري" أثناء محاولة التهرب من التكاليف الشـــرعية، فعوض أن يُلغي مبدأ الأخذ بالأسباب – لأنه صوفية قديمة – تمنطق الحالة وتطرح بطريقة الشعوذة الفكـــرية، ثم يخضع الخليط لعملية تجميل معقدة تثبت لنا في النهاية أن هذه المواقف تعد – ما شاء الله!! – من تجليات الحكمة في التدين.

المهـــم، صـــوفية السبحة والورد والخلوة ليست هي المشكلة، رغم أننا لا نقرها على الابتداع في الدين، إذ مـــنهم من لا يفهم من الصوفية إلاّ أنها وسيلة إلى التهذيب الخلقي والتعبئة الروحية، كما أن التاريخ قد حفظ لبعض الزوايا الصوفية مواقف بطولية في الدفاع عن ديار الإسلام. المشكلة هي صوفية النظرة إلى حركة الحياة، لأنها تؤدي إلى قتل وتعطيل إرادة المسلم، وتحوله إلى طاقة جامدة لا تتحرك في اتجاه التغيير الإسلامي، وحتى إذا تجاوز هذه العقبة ودخل إلى دائرة العمل فإنها تلاحقه بتفريغ جهوده في قنوات تائهة تمنعه من استثمار حركته في اتجاه الوصول إلى الهدف، لأن أهم الخصائص في صوفية النظرة إلى حركة الحياة أنها تفتقر إلى الرابط الذي يجمع – وفق نسق سنني - بين المقدمات والنتائج.

أمريكا وحلفاؤها يستهدفون حاضرنا ومستقبلنا، وهم جادون في طمـــس هويـــة هذه الأمة، وفي إحكام قبضتهم على خيراتها ومقدراتهـــا لتجريدها من كل عناصر القوة التي تحفظ كيانها.. والـــبعض من المسلمين لازال إلى الآن يرى أن الرد الفعّال على هذه الهجمة الصليبية هو فتح حوار هادئ للتأثير على عقل صانع القرار في الإدارة الأمريكية، وحتى إذا لم ينفع بيانٌ واحد أو ندوة واحـــدة في التقريـــب بين وجهات النظر فلا بأس – يقصدون فلابد – من الاستمرار في الحوار الهادئ، لأنه هو السبيل الوحيد إلى تحقيق الأهداف، ولا داعي إلى تعجل النتائج لأن الاستعجال مذموم في الشرع الإسلامي!!

هـــذا هـــو واقـــع الأخـــذ بالأسباب في مذهب "التصوف الفكـــري"، خلاصته عمليةُ قفزٍ على السنن الشرعية والكونية، تخبـــئ في داخلها الابتعاد بالنفس عن المناطق المحظورة (استعمال

• أمريكا وحلفاؤها يستهدفون حاضرنا ومستقبلنا، وهم جادون في طمس هوية هذه الأمة، وفي إحكام قبضتهم على خيراتها ومقدراتها لتجريدها من كل عناصر القوة التي تحفظ كيانها.. والبعض من المسلمين لازال إلى الآن يرى أن الرد الفعّال على هذه الهجمة الصليبية هو فتح حوار هادئ ...

القـــوة مـــثلا)، لأن "أولـــياء الأمر" يرون أنها ليست من اختصاص الحركة الإسلامية، الأمر الذي دفع بعض "المفكرين" إلى إعادة النظر في الأخذ بهذا النوع من الأسباب.

إذن نحـــن أمـــام مد صوفي خطير الأثر، لأنه إما أن يعطل طاقات الأمة بالمرة ويحولها إلى كتلة بشرية سلبية وجامدة اتجاه الأهداف المطلوبة في حركة التغيير الإسلامي، بحيث ترفع علنا شعارَ ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّـــا هَاهُـــنَا قَاعِدُونَ﴾[المائدة:24]، وإما أن يشوش على عقول العاملين لينحرف بهم نحو التفعيل الانتقائي لمبدأ الأخـــذ بالأسباب، وفي كلتا الحالتين أرى أننا أمام مشكلة اسمها الأخذ بالأسباب، إضافة إلى ما أشرنا إليه في البداية من حالة الضمور الذي أصاب عقيدة التوكل على الله.

> ۞
> • إن من أبجديات التصور الإسلامي أن التوكل على الله لا يمنع من اتخاذ الأسباب، إذ ليس هناك أي تعارض بين الأمرين، فالتوكل من أعمال القلب، وهو يعني الاعتماد على الله في تحقق النتائج، هذا الاعتماد الذي ينشأ أساساً من الاطمئنان إلى أن النتائج بيد الله.
> ۞

وبالمناسبة فإن من أبجديات التصور الإسلامي أن التوكل على الله لا يمـــنع من اتخاذ الأسباب، إذ ليس هناك أي تعارض بين الأمرين، فالـــتوكل مـــن أعمال القلب، وهو يعني الاعتماد على الله في تحقق النتائج، هذا الاعتماد الذي ينشأ أساساً من الاطمئنان إلى أن النتائج بيد الله، وأن الأسباب لا تؤثر في النتائج بذاتها وإنما بإذن الله، فلو أن الله شاء أن لا يترتب الأثر عن السبب لكان ذلك، فلا الأسباب ولا النتائج تخرج عن إرادته، ولذلك فإن المسلم يأخذ بالأسباب ولكنه لا يتوكل عليها، وإنما يتوكل على الله، أي أنه لا يعبدها وإنما يعبد الله.

وقـــد بـــيّن الله العلاقة بين الأخذ بالأسباب وحصول النتائج عند قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[الأنفال:17]، فهو هنا ينفي عن رسول الله ﷺ الرمي بمعنى إحداث الأثر (تحقق النتائج)، لأن الفاعل الحقيقي لذلك هـــو الله ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، إلاّ أنه يثبت لـــه — في الوقت نفسه — الرمي بمعنى الفعل (اتخاذ الأسباب)، إذن ليس هناك أي مجال — في التصـــور الإســـلامي — للصـــراع بين التوكل على الله واتخاذ الأسباب، فكلاهما دين واجب، وكلاهما أمرنا أن نتعبد الله به.

وإذا كـــنا نعـــتقد أن الحسابات البشرية مطلوبة من الوجهة الشرعية لأن الله خلق الكون ليسير وفق نظام ســـنني، فإنـــنا نجزم في المقابل أن هذه الحسابات تبقى محدودة بحدود الطاقة البشرية، فهي لا تستطيع أن تحيط بكل شيء ولا أن تحصي كل شيء، لأن العوامل المؤثرة في حصول النتائج كثيرة ومتداخلة، بعضها داخل تحت القدرة البشرية، وبعضها إنما يرجع إلى طلاقة القدرة الإلهية، قال تعالى: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ

أَمْـــراً﴾[الطـــلاق:01]، فيبقى القدر هو النافذ في حقيقة الأمر، وتبقى إرادة الله هي الفاعلة رغم أنها مستورة في كثيرة من الأحيان بستار القوانين الكونية.

لكنني أحب أن ننظر إلى مسألة العلاقة بين التوكل والأخذ بالأسباب من زاوية أخرى، أرى أنها أكثر إيجابية مـــن الأولى، لأنها لا تقف عند مجرد رفع التعارض، فالتوكل على الله إضافة إلى أنه لا يسير في الاتجاه المعاكس لمـــبدأ الأخـــذ بالأسباب فإنه يُنشط هذا المبدأ ويفعله، أي أنه على قدر توكلك على الله تتمكن من استخدام الأســـباب التي بين يديك، لأن الاطمئنان إلى كون النتائج بيد الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، يحول دون الوقوع في فخ الخوف من الغيب، وبالتالي يمنح مساحة واسعة لإرادة المسلم، تورث عنده ما يمكن أن نطلق عليه نفسية الإقدام، إذ يُلاحظ في حركته نوعا من "المغامرة" يستبعد معها التهيب من الغيب.

ونفسية الإقدام هذه هي التي تصنع الأحداث، وصاحبها هو الذي يؤثر في حركة الحياة، لأنها تمنحه فرصة الإفادة الكاملة من الأسباب المتاحة، حتى تلك التي ينظر إليها الناس على أنها أقل من أن توصل إلى الهـــدف. فالإنســـان المقدام عوض أن ينتظر توافر جميع العوامل التي تجعل النتيجة سهلة ومتناولة، يتحرك هو فيما يشبه المغامرة المدروسة ليفعل أبسط الأسباب التي يتيحها لـــه الواقع، مما يفسح لـــه مجالا أوســـع للمناورة، ويفتح أمامه آفاقا جديدة تنقله إلى دائرة الفعل في أوسع مساحاتها، (غزوة ثلاثاء الفتح نموذجا).

أما غياب التوكل على الله فإنه يورث نفسية الإحجام التي تلاحق الفكـــر بـــالخوف مـــن إمكانية تخلف النتائج، فتتسع عند الإنسان مساحة التردد، فهو دائما يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ليس بالضرورة لأن الموقـــف يحتاج إلى ذلك، ولكن لأنه يعيش هاجس الافتقار إلى الضـــمانات، ممـــا يجعلـــه يضيع الفرص بفعل الاستغراق في دراسة الاحتمالات السلبية على حساب الإمكانات الإيجابية، وتكون النتيجة – في الـــنهاية – هـــي عـــدم الأخذ بالأسباب المتاحة تحت ضغط الوساوس والخيالات العائمة. ♦

• فالإنسان المقدام عوض أن ينتظر توافر جميع العوامل التي تجعل النتيجة سهلة ومتناولة، يتحرك هو فيما يشبه المغامرة المدروسة ليفعل أبسط الأسباب التي يتيحها له الواقع، مما يفسح له مجالا أوسع للمناورة، ويفتح أمامه آفاقا جديدة تنقله إلى دائرة الفعل في أوسع مساحاتها، (غزوة ثلاثاء الفتح نموذجا).

حرب الأثير

أبو عبيد القرشي

منذ مدة والإدارة الأمريكية تحاول بكل قوة أن تستخدم آلة دجلها لتحقيق انتصارات حاسمة على المجاهدين في كافة الميادين وعلى رأسها الميادين الأمنية والعسكرية والسياسية. لكن الوسائل الدعائية الأمريكية لم تعد مؤثرة بنفس الطريقة التي كانت على مدى عقود من الزمن. والسبب أن عدو أمريكا هذه المرة – بفضل الله وعونه – هو الذي يملك زمام المبادرة من البداية. في هذا السياق جاء الشريط السمعي الأخير للشيخ أسامة بن لادن ليصيب الدعاية الأمريكية في مقتل، وينقل الخوف مرة أخرى إلى المعسكر الآخر.

1 – أمريكا والدجل: لمحة تاريخية

مـــن المعـــروف أن طـــاغوت العصر أمريكا لم تقم لها قائمة في التاريخ سوى باستعمال الحرب الإعلامية والنفسية ومختلف فنون التدليس والتلبيس، وأفلحت في ذلك ما شاء الله لها أن تفلح... وقد يفاجأ البعض حين يعـــلم أن أمريكا منذ أن كانت مجرد لاعب صغير على الصعيد الإقليمي وهي تلجأ لأكثر الأساليب الإعلامية خداعا من أجل تحقيق مآربها الخسيسة.

وعـــلى سبيل المثال فقد لعب الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت دورا بارزا في تحريض أصحاب الصحف[1] لتضـــخيم حادثـــة غرق البارجة «مين» في ميناء هافانا الكوبي، والعمل على صنع ذريعة من خلالها لإشعال الحـــرب الأمريكية – الإسبانية بهدف الحصول على التركة الاستعمارية لإسبانيا في البحر الكاراييي والفلبين، ونجحـــت الخدعـــة وألهب الحماس الجماهير الأمريكية المتعطشة للانتقام من إسبانيا، وكانت الحرب خاطفة وانتهت بانهزام إسبانيا التي لم تكن قادرة أصلا على المواجهة.

أما الدخول في الحرب العالمية الأولى والتي لم تكن فيها لأمريكا ناقة ولا جمل، فقد نجحت الدوائر الرسمية في جر الشعب الأمريكي إلى الحرب عبر سرد حكايات وهمية تحكي الوحشية التي يقتل فيها رضع أوروبا على يد الألمان المتوحشين[2].

و لم تكـــد تشتعل الحرب العالمية الثانية حتى كان لأمريكا جهاز فعال للدعاية السياسية والحرب الإعلامية والنفسية، وكان أول نجاح لهذا الجهاز هو تصوير الهجوم الياباني على بيرل هاربور على أنه هجوم غادر، بينما

1 – وسائل الإعلام والسياسة الخارجية ، ترجمة د. محمد مصطفى غنيم عالم الكتب 1995)

2 - Noam Chomsky, *Propaganda and the Public Mind* (South End Press 2001)

الحقيقة أن الإدارة الأمريكية عملت كل ما في وسعها لاستفزاز اليابان وجرها للحرب، وهو ما حصل بالفعل. لـــيس هذا وحسب فقد تم استعمال الحرب النفسية بغزارة أثناء العمليات العسكرية في الحرب العالمية الثانية، ولعــل أشهر المواطن التي تذكر في هذا الإطار هو خداع الألمان حول مكان الإنزال الكبير في نورمندي حيث تم التركيز الدعائي على مكان آخر حيث حشد الألمان قواهم، وتمت مفاجأتهم مما تسبب في خسارتهم المباشرة.

كما أن التوسيع الذي عرفته حرب فيتنام لم يكن سوى نتيجة لأحداث خليج تونكين الشهيرة التي صنعتها آلة الدجل الأمريكية، وادعت من خلالها أن قوارب طوربيد التابعة لفيتنام الشمالية هجمت على زورق حربي أمــريكي. وهي القصة التي سارع الرئيس الأمريكي الأسبق ليندون جونسون لاستغلالها لينتزع من الكونجرس قراراً يمنحه سلطة جارفة لتوريط أمريكا في حرب فيتنام.

• وفي حرب الخليج الثانية استعملت الأكاذيب بوتيرة كبيرة، ومن الأمثلة الصارخة على ذلك ظهور امرأة على شاشات التلفزيون، وادعائها أن مئات الأطفال الرضع يتم سحبهم من محاضنهم بوحشية من طرف الجنود العراقيين. اتضح فيما بعد أن لها علاقة بالسفارة الكويتية وأن القصة كلها اختلاق.

وفي حـــرب الخليج الثانية استعملت الأكاذيب بوتيرة كبيرة، ومن الأمـــثلة الصـــارخة على ذلك ظهور امرأة على شاشات التلفزيون، وادعائها أن مئات الأطفال الرضع يتم سحبهم من محاضنهم بوحشية مـــن طرف الجنود العراقيين. اتضح فيما بعد أن لها علاقة بالسفارة الكويتـــية وأن القصـــة كـــلها اختلاق[1]. وحدث نفس الشيء على الصعيد العسكري حيث تم خداع القيادة العراقية أن الحملة الأمريكية ســـتقاد بشكل كلاسيكي أي قصف جوي محدود ثم هجوم أرضي ســـيأتي – حسب ما صورته كاميرات التلفاز – بعد إنزال من ناحية الـــبحر، لكن حصل العكس حيث امتدت حملة القصف الجوي 40 يوما وانطلق الغزو الأرضي من الكويت والسعودية[2]. ونفس الدجل يســـتمر اليوم في التهييء لضرب العراق بتهمة امتلاك أسلحة الدمار الشامل، رغم أن أمريكا هي الدولة الوحيدة التي استعملت في حروبها السلاح النووي (ضد اليابان) والسلاح الكيميائي (فيتنام – العراق – أفغانستان) بل وحتى السلاح البيولوجي (في الحرب الكورية)[3].

---

1 - Alvin Toffler, from a transcript of *The I-Bomb*, a documentary produced for BBC Horizon by Broadcasting Support Services. Produced by Kate O'Sullivan and edited by Peter Millson.

2 - Libicki, Martin. "What is Information Warfare?" article for the Institute for National Strategic Studies

3 - Stephen Endicott and Edward Hagerman, The United States and Biological warfare: Secrets from the Early Cold War and Korea (Bloomington 1999).

2 – أمريكا والدجل في الحملة الصليبية

منذ أن بدأت آلة الدجل تقرع طبول الحملة الصليبية، والرأي العام المحلي والدولي يتم تهييؤه للحروب المعزم خوضـــها على الأراضي الإسلامية ابتداء بأفغانستان، وكانت المحاور التي اشتغلت عليها آلة الدجل الأمريكية كالتالي:

- تأجـــيج حرب نفسية ضخمة على الحكومات العربية والإسلامية وأن لا أحد سيكون في معزل عن الضربة المقبلة.
- إشعال حملة هستيرية على الوجود الإسلامي في الغرب، وشن حملة منظمة على كل أشكال العمل الإسلامي المؤسساتي.
- تصـــوير الحملة الصليبية على العالم الإسلامي وكأن يوم القيامة سيصيب المنطقة، وذلك بهدف نشر الخوف بين الحركات الإسلامية من أجل عزل وتحييد تنظيم القاعدة عن محيطه.

عـــلى الصـــعيد العسكري كثفت الشعبة العسكرية المكلفة بالحرب النفسية من عملياتها داخل أفغانستان، وحاولت أن تكرر التجربة التي نجحت من قبل خلال حرب الخليج الثانية ضد العراق. وكانت التجربة السابقة قد ركزت على عاملين أساسيين لتحييد أكبر عدد من الجنود العراقيين:

- العامل الأول كان هو اللعب على شعور الخوف من الموت.
- أما العامل الثاني فكان هو الاستفادة من مشاعر كراهية القيادة[1].

لكـــن هذه الخطوات سرعان ما أثبتت عدم نجاعتها فالمجاهدون هم مـــن يبحث عن الموت هذه المرة، كما أنهم متطوعون من أجل القتال ويفعلون ذلك بقناعة دينية راسخة، ولا سبيل للبحث عما يفرق بينهم وبين قيادتهم.

لذلك لم تفلح الأساليب الخبيثة المعهودة من إلقاء ملايين المنشورات على أماكن تواجد المجاهدين، والتي حاول الجيش الأمريكي من خلالها حـــث المجـــاهدين على الاستسلام. وقد ذهبت كل محاولات الدجل الأمريكي في تباب، فالمنشور الغبي الذي صور الشيخ أسامة بن لادن – نصـــره الله – بـــدون لحية وببدلة أوروبية للإيهام بأنه هرب من مكان المعركة وترك أتباعه كان أتفه من أن يلتفت إليه. كما أن المنشور الذي

> • لذلك لم تفلح الأساليب الخبيـــثة المعهـــودة مـــن إلقاء ملايين المنشورات على أماكن تواجد المجاهدين، والـــتي حـــاول الجـــيش الأمريكي من خلالها حث المجاهدين على الاستسلام. وقد ذهبت كل محاولات الدجل الأمريكي في تباب.

1 - Libicki, Martin. "What is Information Warfare?" article for the *Institute for National Strategic Studies*

صـــوَّرَ عيـــنين حادتين وتحتهما صورة مزعومة للملا عمر –نصره الله– (بمعنى أننا نراقب الملا عمر واستطعنا تصويره عن قرب) ربما أثار الضحك أكثر مما أثار الخوف، خاصة بعد أن اتضح أن الصورة لم تكن قط للملا عمـــر وإنمـــا لمسؤول صغير عن البروتوكول في الإمارة الإسلامية[1]. أما الحركات البهلوانية للقاذفات العملاقة والـــتي كانـــت ترسم رقم 8 في السماء بهدف إرهاب المجاهدين وأمرهم بالاستسلام عند الثامنة صباحا، فإنها كذلك لم تحقق مقصود أمريكا ما دامت المعارك التي تلت بينت لأمريكا الفرق الكبير بين أعداء الأمس واليوم. وقد فهم "النسر" الأمريكي الدرس على مضض بعدما خرج من تلك المواجهات مكسور الجناح.

لـــيس هذا وحسب فإن المتتبع للإعلام يجد أن المجاهدين استطاعوا الانـــتقال في ميدان الحرب النفسية من الدفاع إلى الهجوم المعاكس. فـــبخلاف العقود السابقة التي كان بالإمكان خلالها التلاعب الكامل بالأخـــبار، جعلت طفرة تكنولوجيا الاتصال من المستحيل على أي كـــان احـــتكار المعلومات. وهذا العامل بالذات هو الذي فتح آفاقا واســـعة أمام المجاهدين لشن هجومهم المضاد، الذي تمكن من إيصال الرعب للطرف الآخر بدرجات غير مسبوقة.

• جعلت طفرة تكنولوجيا الاتصال من المستحيل على أي كان احتكار المعلومات. وهذا العامل بالذات هو الذي فتح آفاقا واسعة أمام المجاهدين لشن هجومهم المضاد، الذي تمكن من إيصال الرعب للطرف الآخر بدرجات غير مسبوقة.

وإذا كانـــت الفضائية الأمريكية سي.ان.ان الوحيدة خلال حرب الخلـــيج الثانـــية ســـنة 1991 التي تنقل الأخبار مباشرة وعن قرب، وشـــكلت بذلـــك معـــول هدم أمريكا في الحرب الإعلامية. فهذه الفضـــائية لم تنقل سوى ما كانت تريده أمريكا وفق مواصفاتها. أما خلال الحملة الصليبية فقد تمكنت قناة الجزيرة من فرض نفسها على الســـاحة الإعلامية وبينت بجلاء – ولا سيما في فترة ما قبل قصف مقـــراتها في أفغانســـتان – قبح الممارسات الأمريكية خلال الحرب ومدى الحقد الدفين لأمريكا ضد الإسلام والمســـلمين. ولذلـــك لم يكن مفاجئا أن يلجأ تنظيم القاعدة إلى هذه القناة بالذات لإيصال صوته إلى العالم، ومحاربة عدوه بسلاحه المفضل الحرب النفسية.

وحسب ما يظهر فإن المجاهدين لم ينطلقوا من فراغ، وذلك لأن أية خطط للدعاية المضادة لا بد أن ترتكز عـــلى أسس ومبادئ علمية، والتي تطرقت لها العديد من الدراسات والكتب. ويبدو أن من بين تلك الأسس والعوامل الأمور التالية [2]:

1 - *Newsweek* October 14, 2002.

2 – محمد منير حجاب، *الدعاية السياسية وتطبيقاتها* (مركز التميز لعلوم الإدارة والحاسب 2000)

● تحديـــد أفكـــار العدو، وذلك لأنه إذا تم تحديد العناصر القوية لدعاية العدو أمكن عزلها وتقسيمها حسب درجة أهميتها ويسهل بعدها دحض أفكار العدو.

• إبعـــاد هذه الأفكار عن قالبها الرمزي المؤثر في العاطفة وبذلك يمكن مهاجمتها واحدة تلو الأخرى وإيجاد التناقض بينها.

• مهاجمة النقط الضعيفة في دعاية العدو بقوة.

● تجنب مجابهة دعاية العدو وهي في أشد قوتها.

● الرد على دعاية العدو بالوقائع.

● تحويل الأنظار إلى الأشخاص وهي تهدف إلى جعل العدو في موقف الدفاع دائما.

• المبادأة لأنها تعطي تأثيرا قويا في الرأي العام.

ويمكـــن القـــول أن العديـــد من هذه الأساليب تم تطبيقها بجدارة واســـتحقاق، والمتتبع للأشرطة الأخيرة (منذ 9 سبتمبر 2002) يستطيع فـــك رموز الأداء الإعلامي للتنظيم في محاربة طاغوت العصر أمريكا. فقد تمكن تنظيم القاعدة من بث سلسلة من الشرائط السمعية والبصرية عـــبر قناة الجزيرة كان لكل واحد منها وقع خاص. والشريط الذي تم بـــثه في الذكرى الأولى للثلاثاء المبارك شمل تسجيلا صوتيا للشيخ ابن لادن ووصـــية أحد منفذي عملية سبتمبر وشكل حدثا بالغ الأهمية لأن تســـجيل صـــوت الشيخ ابن لادن شخصيا وهو يسمي منفذي عملية ســـبتمبر ويثني عليهم كان المرة الأولى التي يعترف فيها تنظيم القاعدة بشـــكل صريح ومباشر لا لبس فيه عن المسؤولية عن أحداث سبتمبر.

> • فقـد تمكـن تنظـيم القاعدة من بث سلسلة مـن الشـرائط السـمعية والبصـرية عـــبر قـــناة الجزيرة كان لكل واحد منها وقع خاص.

ومـــن وجهة نظر إعلامية صرفة يمكن القول أن تأخر الاعتراف الصريح بالمسؤولية عن الغزوتين – حسب ما يرى بعض المحللين – سببه تجنب مجابهة دعاية العدو وهي في أشد قوتها لأنه لا طائل من ذلك.

وجـــاء الشـــريط الذي تم بثه في بداية شهر أكتوبر، وتوعد فيه الشيخ أيمن الظواهري مصالح الدول الغربية المـــتحالفة مـــع أمريكا، ليكون إيذانا بسلسلة من الهجمات (قتل المارينز في الكويت، تفجير الناقلة الفرنسية، تفجـــير أوكـــار الفســـاد في إندونيسيا)، وقد فهم العديد من المختصين الرسالة وفسروها بأنها بداية للهجمة الاســـتراتيجية المعاكســـة. وقـــد حملت هذه العمليات مدلولا خاصا على مستوى الحرب النفسية، وهي أن الأسلوب الأفضل للرد على دعاية العدو هو أن يتم ذلك بالوقائع، وقد كان. فأي وقائع أشد وطئا على عدو

يدعي الانتصار والقضاء على "فلول" المجاهدين من عمليات متسلسلة في مختلف بقاع العالم لتبين كذبه وبهتانه أمام القاصي والداني.

• أما الشريط السمعي الأخير للشيخ أسامة بن لادن فقد نزل كالصاعقة على أمريكا وأذنابها، خرت معه الدعاية الأمريكية من السقف، بعد أن راهنت لشهور على موت الشيخ كأسلوب لبث اليأس والقنوط بين المسلمين. كانت عودة الشيخ مميزة وتكلم بكلام مختصر وقوي.

أما الشريط السمعي الأخير للشيخ أسامة بن لادن فقد نزل كالصاعقة على أمريكا وأذنابها، خرت معه الدعاية الأمريكية من السقف، بعد أن راهنت لشهور على موت الشيخ كأسلوب لبث اليأس والقنوط بين المسلمين. كانت عودة الشيخ مميزة وتكلم بكلام مختصر وقوي، وذلك لإفهام الجميع بمن فيهم الشعوب الغربية ماهية الصراع الدائر .ولوحظ في هذا الشريط أن الشيخ ابن لادن تجاوز أمريكا تماما وتجاوز حكومات حلفائها وتحدث لشعوب حلفائها موجها تحذيرا لهم بأن يردعوا حكوماتهم عن أن تستمر في دعم أمريكا وإلا فسينالون نصيبهم من العقاب. كما تضمن خطاب الشيخ العديد من العبارات المدروسة التي ستدخل التاريخ دون شك. من هذه العبارات قوله "طريق الأمان يبدأ برفع العدوان" ومنها كذلك قوله "لقد آن الأوان لنستوي في البضاعة، فكما تقتلون تقتلون، وكما تقصفون تقصفون، وأبشروا بما يسوؤكم"، وهي عبارات من الطراز الثقيل ذات مدلول تاريخي كبير[1].

كما أن الخطاب تطرق إلى أشخاص في الإدارة الأمريكية بذواتهم وهو ما فاجأ المراقبين، لكن يمكن فهم الرسالة بأنه أسلوب ذكي في الرد على دعاية العدو التي تنافست في النيل من الشيخ، فكان الرد غير المباشر بفضح السجل الإرهابي الكبير لقادة أمريكا. وربما كذلك هدفت هذه الخطوة إلى جعل عصابة البيت الأبيض تعيش في رعب ليس له مثيل. وبما أن الشيخ لم يخاطب الأمة منذ وقت طويل فإن مجرد خطابه هذا يعتبر كذلك تهديدا لأمريكا في الصميم، ويجعل فرائصها ترتعد لما يلوح في الأفق. وهي كلها عوامل تجعل حملة الحرب النفسية المضادة للمجاهدين موفقة وناجحة تماما.

بطبيعة الحال لن تستسلم أمريكا لقدرها المحتوم، خاصة وأنها في غمرة سكرتها وأوهام عظمتها تترنح. وستحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تزيد من جرعات الحرب الإعلامية والنفسية. ولعل أول التغييرات

1 – انظر نشرة الحركة الإسلامية للإصلاح العدد 341 بتاريخ 18 نوفمبر 2002

التكتيكية التي قامت بها آلة الدجل الأمريكية مؤخرا هي محاولة تمييع الخطاب الإعلامي للمجاهدين عبر خلق شخصيات وهمية تتكلم باسمهم في المنابر الإعلامية كما حدث في رسالة أحدهم حين ادعى أنه الرجل الثالث في القاعدة. كذلك ستحاول أجهزة الدعاية الأمريكية زرع الفرقة بين المجاهدين عبر نشر الأراجيف في مواقع خاصة بذلك على شبكة الإنترنت، وهي مواقع تدعي زورا وصلا بالمجاهدين، مثلما جرى مؤخرا حين كشف موقع عزام أحد هذه المواقع المشبوهة الناطقة باللغة الإنجليزية. هذا فضلا عن الخطوات الأمريكية المسعورة في التدمير الممنهج للمواقع الصادقة على الإنترنت.

كما أن تسريب صور لمعتقلي غوانتانامو – فك الله أسرهم – أثناء ترحليهم على متن طائرة نقل عسكرية أمريكية، وهي صور تظهر المعتقلين وهم في أوضاع بالغة الإهانة، ما هي إلا درب من دروب الحرب النفسية المستعرة، ومحاولة أمريكية أخرى لإرهاب المسلمين بعد أن فشلت محاولات سابقة في النيل من عزائم الموحدين.

هذا إضافة إلى المحاولات الأمريكية المستمرة في نشر الفاحشة في الذين آمنوا، حتى يتم تحييد أكبر عدد ممكن من المسلمين عن الحرب القائمة، وما نموذج إذاعة "سوى" الفاسقة عنا ببعيد.

• إن أمريكا تسعى بخطط ثابتة إلى السيطرة على منابع المعلومات سواء فيما يخص المناهج التعليمية أو ما يخص الفضاء السمعي البصري والشبكي، وهي الإستراتيجية التي أطلق عليها اسم Information Dominance، و هو مما يجب التفطن له والتصدي له بكل قوة.

أما من الناحية الاستراتيجية فإن أمريكا تسعى بخطط ثابتة إلى السيطرة على منابع المعلومات سواء فيما يخص المناهج التعليمية أو ما يخص الفضاء السمعي البصري والشبكي، وهي الاستراتيجية التي أطلق عليها اسم Information Dominance [1]، و هو مما يجب التفطن له والتصدي له بكل قوة.

لقد كان الخبراء الأمريكيون يتنبؤون خلال التسعينات بأن المنتصر في الحروب القادمة لن يكون من يلقي أكبر قنبلة ولكن من يتحكم في مصدر المعلومات ويحكي أفضل قصة، حتى ولو لم يكن لها وجود أصلا... والذي يظهر اليوم أن المجاهدين في طريقهم لكسب حرب الأثير ... وذلك ببساطة عبر الصدق في القول والعمل.♦

1 - Arquilla and Ronfeldt, "Cyberwar is Coming!", *RAND*.

آية العدد - دعوة إلى التدبر

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف)

من كلام السلف

قال حذيفة بن اليمان ﷺ:

" أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورُب مصلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعا ".

من مشكاة النبوة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ" رواه البخاري

أقوال بدون تعليق

❁ – أعلن سترو في عرض للأخطاء التاريخية التي ارتكبتها بريطانيا في مقابلة مع أسبوعية «نيو ستيتسمن» البريطانية اليسارية «إن الكثير من المشاكل التي ينبغي علينا تسويتها الآن هي من نتائج ماضينا الإمبريالي». وأضاف وزير الخارجية البريطاني «إنها مسألة سيئة بالنسبة إلينا، ونحن نتحمل نتائجها». وأردف قائلا «لعبنا في أفغانستان دورا غير مجيد على الإطلاق خلال قرن ونصف قرن من الزمن».

❁ – كشفت مصادر أميركية عن استعداد إيراني لدعم « الحرب الأميركية المحتملة على العراق رغم حرب التصريحات بين البلدين. أضافت المصادر أن «حوارا هادئا» يجري بين الجانبين عبر ممثليهما في بلد خليجي، وأن «الدعم» الإيراني المحتمل قد يشمل الجانب العسكري في حال هاجمت أميركا العراق لإطاحة حكم الرئيس صدام حسين.

هل تعلم ؟

هل تعلم أن مراحل التحقيق أربعة؟

رابعاً: المرحلة الأخيرة وتتسم بالأمور التالية:

❁ إطلاق سراح إذا لم يثبت عليه شيء، خاصة إذا كان هناك ضغط من طرف المحيط الاجتماعي أو غيره، لكنه يدخل تحت المراقبة بين الفينة والأخرى.

❁ في حال الاعتراف ولو تحت الإكراه تؤخذ أقواله واعترافاته وقد يحول إلى المحكمة.

❁ تحويله إلى المعتقل لفترة ووضعه بين العصافير (الجواسيس) ثم يغادر المعتقل في حال لم يعترف ولم يثبت عليه شيء.

من شعر الحماسة

في كل يوم للجنان قوافل ... شهداء راض عنهم العلام
ماذا أقول بوصف ما قاموا به ... عجز البيان وجفت الأقلام
لله در ضياغم ملء الدنى ... بعظائم الأعمال فيها قاموا
من كل من عاف الحياة مجاهدا ... وسلاحه الإيمان والإقدام
لم يلههم ما حولهم من زخرف ... أبدا ولا ترف ولا أنغام
نذروا النفوس لنصرة دينهم ... لم يخدعنهم في الحياة حطام

رسالة الإمام ابن لادن
وملامح الخطة المستقبلية

أبو أيمن الهلالي

في ظل الهجمة الشرسة/الحرب الصليبية التي تستهدف أمتنا الإسلامية في كل من أفغانستان والشيشان وفلسطين والعراق واليمن والأردن وإندونيسيا وسائر البلاد الإسلامية، والمتمثلة في التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا الصهيونية، بحيث أصبحت جلية أكثر من أي وقت مضى، وأنه لا مجال للاختلاف بشأنها أو ادعاء خلاف هذه الحقيقة الناصعة والمفضوحة، مما يستوجب على أمتنا الإسلامية بأسرها المشاركة في هذه الحرب التحريرية، من خلال التعرض لكل من تسول له نفسه التحالف مع العدو الأمريكي الصهيوني ضد أي مسلم في العالم، لأن هذا من أوجب الواجبات الشرعية والسياسية، وعبره سنحافظ على مقاصد شريعتنا السمحاء، وعلى رأسها حفظ الدين الذي يتجلى في المحافظة على الكيان البشري الذي يجسد الدين، وليس اختزاله في المعنى المجرد للفظ كما تفعل مدرسة الجدل والدجل المعاصرة، لنحقق على الأرض جسد الأمة العقدي والروحي والاجتماعي والسياسي كما جاء في حديث رسولنا العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام الذي قال فيه: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

هذه الحقيقة الإيمانية جسدها رسولنا العظيم عليه الصلاة والسلام، لأن إيمان الأفراد يبقى بدون معنى إن لم يتبلور على المستوى العملي في كيان بشري عضوي اجتماعي سياسي يتقاسم السراء والضراء، وكذلك الصحابة الكرام، وتبقى صرخة المرأة التي استنجدت بالمعتصم نموذجا خالدا في تاريخنا الإسلامي الحضاري المشرق، والذي لبى نداءها على الفور بإعداد الجيوش، وليس بالتنديد أو التوسل كما يفعل أشباه الرجال/الذكور من الحكام العرب بخصوص نساء المسلمين في فلسطين وغيرها، فأمر العدو بإطلاق سراحها وإلا الحرب التي ستدمره، فاستجاب وأطلق سراحها.

وكذلك ما قام به أمير المؤمنين الملا عمر – حفظه الله – بخصوص تسليم الإمام المجاهد الشيخ ابن لادن – حفظه الله – للعدو الأمريكي، فاختار التحدي وعدم الركون ليبقى شاهدا على عصره، ونموذجا حضاريا في الإيمان والعزة والكرامة والإنسانية والرجولة والوفاء لمبادئه وإخوانه، وأيضا ما يقوم به الإمام ابن لادن – حفظه الله – وجنده وسائر المجاهدين في كل أنحاء العالم..

في هذا الإطار، جاءت رسالة الإمام ابن لادن – حفظه الله –، لتشيد بالعمليات الجهادية التي قام بها المجاهدون في كل من أمريكا وتونس وكراتشي واليمن وفيلكا وبالي ومسرح موسكو وغيرها كالأردن ولبنان...، والتي استهدفت مصالح البلدان الغربية المتحالفة مع عصابة الإجرام الأمريكية، والمشارِكة في العدوان على أفغانستان، أي كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا واستراليا، وفي نفس الوقت تحذر شعوبها

مـــن مغبة تمادي حكوماتها في محاربة ما يسمى "الإرهاب"، لأنها في نهاية المطاف هي التي ستدفع الثمن/حياتها ومصالحها، فهي إذن قضيتها.

سعيا منا في إلقاء مزيد من الأضواء حول فحوى الرسالة والهدف منها، والإجابة عن مجموعة من التساؤلات الـــتي تثار من طرف بعض المنددين/المشككين في شرعية وجدوائية بعض العمليات مثل تفجير الناقلة الفرنسية وانفجار بالي، أي أن ذلك سيوسع من دائرة الصراع فضلا عن التحفظ إزاء العملية التي تستهدف في نظرهم المدنيين، نقدم المقاربة التوضيحية التالية:

أولا – شبهات المنددين:

يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ – الناقلة الفرنسية:

من بين الشبه التي أثارها البعض بخصوص الناقلة الفرنسية، أن فرنسا محايدة وأنها ما زالت تقدم رجلا وتؤخر الأخرى، ولاسيما في مسألة الهجوم الأمريكي على العراق، وأن من مصلحة المسلمين عدم معاداتها، لأن ذلك سيوسع من دائرة الصراع، كما يمكن أن تكون حليفا. وأضاف البعض أن تنظيم القاعدة يجب أن يعرف بأنه ليس وحده في الساحة، أي بمعنى يجب أن يأخذ بعين الاعتبار مصلحة الآخرين.



• وأصحاب هذه الشبه نعرفهم جيدا (أفكارهم ومواقفهم وطبيعة مشاريعهم)، فهم ينطلقون من مجموعة من الثوابت التي يريدون المحافظة عليها، ويطالبون الآخر بمراعاتها، أي عدم إحراجهم أمام حلفائهم من الأنظمة العميلة.



وأصـــحاب هذه الشبه نعرفهم جيدا (أفكارهم ومواقفهم وطبيعة مشـــاريعهم)، فهـــم ينطلقون من مجموعة من الثوابت التي يريدون المحافظـــة علـــيها، ويطالبون الآخر بمراعاتها، أي عدم إحراجهم أمام حلفائهم من الأنظمة العميلة، وكذلك مع بعض المرتزقة من المفكرين والسياســـيين، لكـــي يـــبقوا بعذريـــتهم السياسية مخافة أن يتهموا بالإرهاب.

إن هؤلاء لا ينطلقون من أرض المعركة والصراع، التي تفرض على صاحبها المعرفة الدقيقة بأطرافها الحقيقيين، والحساب السياسي الجيد، الـــذي يجعـــل مـــن أولوياته مصلحة الإسلام والأمة، والاستراتيجية الصحيحة التي تربط بين فلسطين والشيشان وأفغانستان والعراق...، ولـــيس تجزيئها كما يفعلون، بل بالعكس هم الذين لا يأخذون بعين الاعتـــبار مصـــلحة الأمة التي تتعرض يوميا للهجوم وبكل الوسائل القـــذرة في كل من فلسطين والعراق والشيشان وأفغانستان والأردن واليمن...، وهم منشغلون بمصالحهم الضيقة وبمصالح الأنظمة العميلة.

إن فرنسا محاربة لإخواننا في أفغانستان، ومشاركة في التحالف العدواني الصليبي، وأنها في بعض الأحيان تتظاهر بالدعوة إلى الحوار والانفتاح، فهي تنهج سياسة مزدوجة مع الغرب والعرب، لتحافظ على مصالحها في المنطقة، ولتدفع أمثالهم للتنديد بالعمليات التي تستهدفها، لتلتبس الحقيقة في نهاية المطاف على الأمة.

إنه لا يعقل وبكافة الموازين الشرعية والسياسية والاستراتيجية أن تواجه قاتلك بالاستجداء والتوسل، وهذا ما يسعى إليه المنددون لنصبح أمثالهم، لأن وضعنا الصحيح يكشف دجلهم واستهتارهم بالقضية الإسلامية.

ب – المدنيين:

بداية نؤكد حقيقة يجمع عليها الكل، وهي أن المجتمعات الغربية تمارس الديمقراطية، أي بمعنى أن المجتمع هو الذي يفرز حكومته، وهو بذلك يتحكم فيها، أي يملك القدرة على إسقاطها أو الضغط عليها من أجل تبني خياراته.

• أن المجتمعات الغربية تمارس الديمقراطية، أي بمعنى أن المجتمع هو الذي يفرز حكومته، وهو بذلك يتحكم فيها، أي يملك القدرة على إسقاطها أو الضغط عليها من أجل تبني خياراته.

وعليه، فإن ما تعرض له ما يسمون بالمدنيين غير المسلحين في انفجار بالي – لأن المدني لا يعني بالضرورة غير محارب، إذ أن المحارب قد يكون مسلحا وقد يكون مدنيا مثل المفكرين والسياسيين وغيرهم.. – يعتبر في نظرنا عمل سياسي مشروع من عدة جوانب:

– أن وضعهم يختلف عن وضع الأطفال والنساء والشيوخ، أي المدنيين غير المحاربين الذين كانوا في الحروب التاريخية القديمة، والذين لم يكن لديهم أي تأثير في القرار السياسي، أي كانوا محايدين.

– أن وضعهم يختلف عن شعوبنا سواء الموجودة في البلاد الإسلامية أو الغربية، لأنها مستضعفة وليس لها قرار.

– أنهم كانوا يرقصون على جراحات أمتنا، وفي أرضنا، مما يعني نشر الفساد والمساهمة في إضعاف أمتنا.

– أنه لا يوجد بيننا وبينهم عقد الأمان، لأن المرتزقة هم الذين رخصوا لهم.

– أنهم مشاركون فعليون في حربنا من خلال حكومتهم التي اختاروها بإرادتهم.

– لهم القدرة على التأثير في القرارات المصيرية التي تعنى بالحرب والسلم، لأنها من شأنهم.

– أن استهدافهم يأتي في إطار رد العدوان الممارس على أمتنا من طرف زعمائهم/حكوماتهم، أي من طرفهم.

وحتى إذا افترضنا أنه يوجد من بينهم من هو ضد العدوان علينا وهذا صحيح، وقد يتوج ذلك ببعض المسيرات المنددة، لكن تبقى ضعيفة وأصحابها يمثلون أقلية التي لا تقوى على التأثير في القرار، أي بمعنى أن الأغلبية مع العدوان، لذا فإن في الاستهداف لا يمكن التمييز بينهم، والقرار يتأسس على الأغلبية، كما يوجد في بعض الدول الغربية غير المحاربة من هو مع العدوان، لكن يعتبر أقلية، لذا لا يمكن استهداف شعبها.

ثانيا - دواعي الإستهداف:

إن الإمام المجاهد الشيخ ابن لادن – حفظه الله – حاول في رسالته السياسية أن يوضح لشعوب الدول المتحالفة مع عصابة الإجرام الأمريكي خلفية استهدافهم من طرف المجاهدين، والتي:

– استجابة لأمر ربهم ورسولهم الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

– الدفاع عن العقيدة.

– رد الفعل والتعامل بالمثل وهذا من صميم العدل، لأنه لا يعقل كما قال: "فإلى متى يبقى الخوف والقتل والدمار والتشريد واليتم والترميل حكرا علينا؟، ويبقى الأمن والاستقرار والسرور حكرا عليكم؟ هذه قسمة ضيزى، لقد آن الأوان لنستوي في البضاعة، فكما تقتلون تقتلون، وكما تقصفون تقصفون وأبشروا بما يسوؤكم"، وقال أيضا في نفس السياق: "فلإن ساءكم النظر إلى قتلاكم وقتلى حلفائكم من الرجال في تونس وكراتشي وفيلكا وعمان، فتذكروا قتلانا من الأطفال في فلسطين والعراق يوميا، وتذكروا قتلانا في مساجد خوست، ولإن ساءكم النظر إلى قتلاكم في موسكو فتذكروا قتلانا في الشيشان".

> • إن الإمام المجاهد الشيخ ابن لادن – حفظه الله – حاول في رسالته السياسية أن يوضح لشعوب الدول المتحالفة مع عصابة الإجرام الأمريكي خلفية استهدافهم من طرف المجاهدين.

ثالثا - الأهداف السياسية:

يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أ – توضيح القضية:

إن القضية التي يدافع عنها المجاهدون عادلة لأنها تهدف إلى رد العدوان ورفع الظلم عن أمتنا الإسلامية سواء في فلسطين أو في غيرها من البلاد الإسلامية، عكس هؤلاء المتحالفين مع العدو الأمريكي الصهيوني، لأن الأمر لا يعنيهم كما قال الإمام ابن لادن – حفظه الله –: "فما شأن حكوماتكم والتحالف مع أمريكا في الهجوم علينا في أفغانستان، وأخص بالذكر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا واستراليا" وقال أيضا في نفس السياق: "فما شأن حكوماتكم والتحالف مع عصابة الإجرام في البيت الأبيض ضد المسلمين، أما تعلم

حكوماتكم أن عصابة البيت الأبيض هم أكبر سفاحي العصر"، لأن السلوك السليم هو التحالف ضد عصابة البيت الأمريكي، وفي أسوء الأحوال البقاء في الحياد بعيدا عن الصراع، لأنه لا يعقل في ميزان العقلاء أن يشترك المرء فضلا عن الحكومات في الإجرام الذي يمارس على شعبنا في فلسطين وأفغانستان وسائر البلاد الإسلامية، لأن ما يتعرض له الأبرياء كان كما قال: "كافيا للعقلاء من حكامكم للابتعاد عن عصابة الإجرام هذه".

ب – إقامة الحجة:

لتعرف شعوب الدول المتحالفة مع عصابة الإجرام الأمريكي الحقيقة، لتتمكن في المستقبل من تفادي ضربات مماثلة، عبر الضغط على حكوماتها من أجل التحلل من ذلك التحالف الإجرامي الذي استهدف النساء والأطفال والشيوخ، وإلا تعتبر مجرمة مع سبق الإصرار والترصد كما صرحت بذلك الحكومة الأسترالية والفرنسية إثر لقائها بالروس في فرنسا.

• لتعرف شعوب الدول المتحالفة مع عصابة الإجرام الأمريكي الحقيقة، لتتمكن في المستقبل من تفادي ضربات مماثلة، عبر الضغط على حكوماتها من أجل التحلل من ذلك التحالف الإجرامي الذي استهدف النساء والأطفال والشيوخ، وإلا تعتبر مجرمة مع سبق الإصرار والترصد.

ج – تحييد بعض الحكومات من الصراع:

لأنه إذا افترضنا أن الشعوب لم تكن تعلم بمقتضيات صمتها أو دعمها لحكوماتها في التحالف الدولي ضد المسلمين، فإنها بالواقع/العمليات الجهادية وبالبيان التوضيحي الذين قام بهما الإمام ابن لادن- حفظه الله – ستعرف أنها ضحية لسياسة حكوماتها، عندئذ إن كانت تبحث عن مصلحتها في العيش بأمان فإن الحل هو ما قاله الإمام ابن لادن –حفظه الله – في مقدمة رسالته السياسية: "فإن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان"، والذي يعني عمليا أن تقف وجها لوجه أمام حكامها، لأنهم السبب الحقيقي في ما تعانيه، لأنه بدل من التنديد بما يسمى "الإرهاب"، يجب عليها أن تحتج وتعارض حكوماتها بالضغط على ممثليها من الأحزاب، وبالتظاهر السلمي أو العصيان المدني إن اقتضى الحال.

إن الإمام ابن لادن برسالته السياسية قد أزال عائق الوعي السياسي لدى شعوب الدول المتحالفة مع المجرم الأمريكي، وأسس في المقابل لقاعدة أخلاقية في العمل السياسي، وهي طريقة التحييد السياسي التي تنسجم مع مركزية العدل في ديننا الحنيف مصداقا لقوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الممتحنة: 8)

د – رسم ملامح للخطة المستقبلية:

إن الإمــام ابــن لادن– حفظه الله – برسالته يضع خطة المواجهة للحركة الجهادية ومداها كذلك، ويحث الأمة بأسرها إلى الاقتداء بالمجاهدين الذين نفذوا عمليات جريئة ضد الأعــداء، وأيضا مصالحــهم، حيث أن مفهــوم المــدنيين – بخصوص الدول المشاركة في العدوان – ليس على إطلاقه، مما يرفع تحديات جديدة أمام الأعــداء، وييسر المهمة لكل أبناء الأمة، بحيث يصبح بإمكان كل فرد أن يساهم في رفع الظلم والعدوان على أمتنا في فلسطين والشيشان وأفغانستان... من خلال التصدي – وفق خطة مدروسة ودقيقة – للأفراد والمصالح المعادية، لأن هذه السياسية من شأنها أن تبلّغ وبشكل ملموس حقيقة إجرامهم، وطبيعة معاناة أمتنا، أما الجدل الفارغ والتسول والدعوة إلى الحوار والسلام/الاستسلام فلا يجدي، لأنه وكما يعلم الجميع مورس على الأقل قــرنا من الزمان، فضلا عن مخالفته لقوله تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 35)، وأيضا السبيل إلى إعادتهم إلى جادة الصواب.

رابعا – الخاتمة:

انطلاقــا مما تقدم، فإننا ندعو أمتنا الإسلامية إلى نفض غبار الذل واليأس والإحباط والخوف والعجز، الذي يحــاول الأعــداء إصابة الأمة به، من خلال الحرب النفسية، التي تعتبر من الأهداف الرئيسية للحملة الدعائية الأمريكــية، ســواء من خلال معتقلي غوانتانامو، أو التهديد بالهجوم على العراق، أو مطاردة كل من يقف ضــدها، لتــتمكن من خلخلة نفسيتها والتأكيد في نفس الوقت على قوتها وهيمنتها، وإحداث هزيمة روحية وخواء نفسي يعوق الأمة عن المواجهة.

وعلــيه، فــإن مــن أوجب الواجبات الشرعية والسياسية في هذه المرحلة الصعبة التي تمر منها أمتنا، هي اســتنهاض همتها وشحن نفوسها، وزرع الأمل، ودعوتها إلى الثبات على دينها واليقين بنصر الله، فضلا عن إعداد العدة.

وهــذا الأمــر لن يتم بالتوجيهات الأخلاقية المجردة، أو بالموعظة الحسنة... مع أهمية ذلك، بل بالارتباط بالمؤمــنين المجاهدين الصادقين، الذين أثبتوا عمليا أنهم أهل الصبر واليقين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّــةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(السجدة: 24)، ويبقى الإمام المجاهد الشيخ ابن لادن وأمــير المؤمنين الملا عمر والشيخ أيمن الظواهري وسائر المجاهدين– حفظهم الله جميعا ونصرهم – نماذج حية يقــتدى بها في زماننا هذا، الذي يتسم بالغطرسة الأمريكية، التي لم يستطيع أحد الوقوف ضد جبروتها سوى هؤلاء المجاهدين الذين نسأل الله عز وجل أن ينصرهم، و سائر إخواننا المجاهدين في كل من فلسطين والشيشان واليمن وكشمير وسائر البلاد الإسلامية، إنه سميع مجيب للدعوات.♦

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ﴾

أبو سعد العاملي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد

فإن الله تعالى خلق الخلق لحكمة بالغة وهي تحقيق العبـــودية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾[الذاريات 56]، وتتجلى هذه العبودية في الخضوع الشامل لإرادته والطاعة التامة لأوامره ونواهيه، وهذا هو المفهوم الصحيح للعبادة، كما عرفه رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم الطائي في تفسير قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾.[راجع كتب السيرة في إسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه].

ولأجل هذه الغاية العظمى بعث الله الرسل واستخلف أمماً وسخَّر لها ما في السماوات وما في الأرض، وهو دليل على أن لا شيء أعظم قيمة عند الله من هذه الغاية، فحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فهـــو لا يرضـــى لعباده الكفر، وهو أغنى الشركاء عن الشرك، ومن هنا تأتي عملية الاستبدال – التي تعني في الصـــميم – غضب الله وانتقامه من الفرد أو الجماعة أو الأمة التي أشركت مع الله، ليحل محلهم فرد أو جماعة أو أمة أخرى لتحقيق حق الله عليهم.

فســـنة الله لا تحابي أحداً في هذا المجال ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾، فالكثير من الأفراد والأقوام والأمم استبدلها الله تعالى حينما حادت عن نهجه وكذبت رسله، بالرغم من قرابتها من هؤلاء الأنبياء والرسل[1].

هـــناك مـــراحل أو محطـــات عديـــدة يمر بها الفرد أو الجماعة قبل الوصول إلى المحطة النهائية وهي عملية الاستبدال، أهمها:

الإمهال قبل غضب الله

من رحمة الله تعالى على عباده، ورغبة منه سبحانه في دخول العبد في طاعته والفوز برضاه وثوابه، يمنح وقتاً وفرصاً إضافية لعل هؤلاء العبيد يراجعون فيها أنفسهم ويعودون لمزاولة واجباتهم، فيغدق الله تعالى عليهم نعمه ظاهـــرة وباطـــنة تـــارة، أو يفتنهم بنقص في هذه النعم تارة أخرى ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَة﴾، لعلهم يـــرجعون، فمـــن العباد من يتعظ ويحسن استغلال هذه الفرص، فيعود إلى طاعة الله تعالى والقيام بما أمره به، ومـــنهم من يتمادى في غيه وفساده، ويحسب أن هذا الإمهال الرباني هو دليل على أنه في منأى من عذاب الله

1 – مثال نوح عليه السلام مع ابنه وزوجته، ومثال قوم هود وصالح، ومثال أمة بني إسرائيل مع موسى.

وغضبه ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾ [الكهف 35- 36].

فالإمهـــال وسيلة ذات حدين، يمكن أن تكون نعمة على البعض ونقمة على البعض الآخر، ومن ينظر إلى واقع أمتنا اليوم يجد أن الكثير من المسلمين داخلون في هذه الحالة، فبعد أن نكثوا عهدهم مع الله وابتعدوا عن الـــنهج القويم، ساروا يهتمون بمتاع الحياة الدنيا، غير مبالين بواجباتهم الدينية، من نصرة لدين الله ولإخوانهم المستضعفين والمجاهدين في كل مكان، بل منهم من تحول إلى أنصار للباطل بسبب خوفهم من ذهاب ما هم فيه من متاع دنيوي عابر، وبهذا يكونون قد سقطوا في امتحان الإمهال الرباني ولم ينفعهم في شيء، وتحول بالتالي إلى نقمة سرعان ما يسبقها عذاب الله وغضبه.

غضب الله قبل التيه

• وغضب الله لا يتجلى دوماً في إلحاق الأذى المادي – كما أصاب الأمم التي سبقتنا – بل إنه أحياناً يأخذ صوراً مختلفة، كأن يُفتن المرء عن دينه وينغمس في الشهوات.

ويأتي بعد أن تنتهي فترة الإمهال – كما سبق القول –، وغضب الله لا يتجلى دوماً في إلـــحاق الأذى المـــادي – كما أصاب الأمم التي سبقتنا – بل إنه أحياناً يأخذ صوراً مختلفة، كأن يُفتن المرء عن ديـــنه ويـــنغمس في الشهوات فلا يستطيع الخروج من هذا المستنقع الآســـن إلا وهو محمول إلى قبره ليلقى مصيره المحتوم، ذلك هو شأن الكثير من الناس في هذا الزمان.

أو قـــد يكـــون عبارة عن تسليط العدو علينا وتمكينه من أرضنا وخيراتنا بل وحتى أعراضنا، وهي الصورة الأكثر ظهوراً وشيوعاً، إما عـــن طريق العدو الخارجي الذي يتمثل في التحالف الصليبي اليهودي الهندوســـي، أو عـــن طـــريق أذنابهم من الحكام المرتدين وجيوشهم الجرارة وأجهزتهم القمعية في بلداننا، وذلك نكالاً من الله بسبب نكثنا للعهد وتركنا للواجبات، وعلى رأسها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

وقـــد يكون عن طريق تسليط بعضنا على بعض، تكالباً على الدنيا، أو دفاعاً عن الباطل، وهذا هو واقع المسلمين اليوم في كل مكان، أصبحنا أشداء على بعضنا رحماء مع أعدائنا، عادينا بعضنا البعض في سبيل الدنيا ووالينا أعداء الله لينصرونا على الحق وننصرهم على الباطل، أليس هذا ما تفعله أنظمتنا المرتدة منذ عدة عقود، فواليناها على بعضنا البعض، كما والوا هم أعداء الله على أبناء جلدتنا من الآمرين بالقسط والمجاهدين في سبيل الله، فعمَّـــنا عذاب الله وشملنا وعيد الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال 25].

والصورة الأخرى لعذاب الله وغضبه علينا هو هذا النقص في الأمـــوال والثمرات، بالرغم من وجود خَزَّانات هائلة من الوقود والمعادن وخيرات الأرض والبحار في بلداننا، إلا أنها تذهب كلها إلى أعدائـــنا في أطـــباق من ذهب، وما تبقى منها ينهبها هؤلاء الإقطاعيون واللصوص من الحكام وأعوانهم، فيتسلط علينا الفقر والحاجة ليزيدا حالنا تأزماً وضعفاً، وكل هذا بما كسبت أيدينا، حيـــنما تركنا هؤلاء الظالمين يعيثون في الأرض فساداً و لم نأخذ عـــلى أيديهم، وتركنا أموال الأمة في أيدي السفهاء والفاسدين يـــنفقونها عـــلى شهواتهم، بل ينفقونها في محاربة دين الله وتمويل مشـــاريع الشيطان لنشر الفساد والرذيلة في مجتمعات المسلمين، ونحـــن نتفرج على هذه الجرائم ولا نستطيع إيقافها، بل منا من يشـــاركهم فيها باليد، حيث ترى جل المسلمين عبارة عن خدم لـــدى هؤلاء الطغاة المفسدين، بحجة البحث عن لقمة العيش، حتى ولو كانت ملوثة وعبارة عن حرام مسموم.

• والصورة الأخرى لعذاب الله وغضبه علينا هو هذا النقص في الأموال والثمرات، بالرغم من وجود خَزَّانات هائلة من الوقود والمعادن وخيرات الأرض والبحار في بلدانـنا، إلا أنهـا تذهب كلها إلى أعدائنا في أطباق من ذهب، وما تبقى منها ينهبها هؤلاء الإقطاعيون واللصوص من الحكام وأعوانهم.

هذه هي بعض الصور التي يتجلى فيها غضب الله وعذابه للخلق، خاصة أولئك الذي عرفوا الحق فأنكروه، أو تكبروا عليه خوفاً من ذهاب بعض الدنيا، فحرمهم الله تعالى منها وألبسهم لباس الجوع والخوف والذل، فلا دنيا أصابوها ولا آخرة نالوها.

التيه قبل الاستبدال

ومـــن أهم المحطات التي تمر بها الأمم قبل عملية الاستبدال، هي محطة التيه، وهي من أخطر المراحل وأقساها عـــلى الـــنفوس، ومن أهم المراحل وأنفعها للدعوة ولأصحاب الحق. ذلك أنها تعتبر مرحلة تصفية للصفوف وتمحـــيص للنفوس، وفي هذا منافع عديدة ونفيسة للتجمعات الإيمانية. ولا يمكن أن ننسى في هذا المقام نموذج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، حينما أمرهم الله تعالى بدخول الأرض المقدسة فرفضوا فحكم عليهم بالتيه في صحراء سيناء لمدة أربعين سنة ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِـــقِينَ﴾ [المائدة 26]. فكانت هذه الفترة فرصة لذهاب تلك الفئة المتقاعسة الملتوية ليحل محلها جيل قوي خشن، متمرن على القتال ومتعود على شظف العيش، فتح الله على أيديهم بيت المقدس بعد أربعين سنة.

لقـــد شـــاء الله عـــز وجل لهذه الأمة أن تكون خاتمة الأمم وشاهدة عليها ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِـــتَكُونُوا شُـــهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة 143]، فعملية استبدالها غير واردة البتة،

بخلاف عملية التيه. فبعد أن امتنعت نسبة كبيرة من الأمة عن أداء واجباها، وتركت الجهاد في سبيل الله، سلط الله علـيها ذلاً لا يمكـن أن يُـرفع عنها إلا بامتلاك أسباب القوة والمنعة وخوض غمار الجهاد مع الأعداء، فبالإضافة إلى هذا، أصبحت هذه الفئات تائهة في هذه الحياة، لا تجد فرجاً ولا مخرجاً.

فعـلى مسـتوى الأفراد، نجد الكثير منهم — بسبب بعدهم عن دينهم القويم — غارقين في متاهات الحياة اليومـية، لا يساهمون بشيء من شأنه أن يرفع هذا الضيم عن الأمة، بل لقد تحولوا إلى وسائل للتثبيط وذلك باسـتهلاكهم لبضائع الفساد، وبعدهم عن مواطن التأثير، وعدم استجابتهم لأصحاب الحق. جيل مخدوع تائه لا يهتم إلا بشهواته.

أمـا عـلى مستوى الجماعات، فنجد أن أكثرها قد حاد عن النهج القويم، وسار يبتغي طرقاً ملتوية لبلوغ الغايـة، فكـان أن حكم الله عليها بالتيه والضياع، حتى وإن كانت تظن أنها على حق، فتحقق فيها قول الله تـبارك وتعـالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف 103- 104].

فالحركة الإسلامية – في عمومها– قد عرفت تيهاً منذ عقود من الزمن، ولا زالت أغلب شرائحها غارقة في هـذا التيه، بالرغم من كثرة أفرادها، وبالرغم من انتشار مناهجها البدعية على نطاق واسع، بل وبالرغم من وصـول بعضـها إلى مجالس التشريع أو حتى إلى المجالس الحكومية، فكل هذا يعتبر علامة على هذا الانحراف وعلى هذا التيه العظيم، حيث أن السبيل لتحقيق حق الله علينا هو سبيل السلف الصالح، والوسيلة هي الجهاد في سبيل الله، وكل من ابتغى سبيلاً غيره فسوف يحل عليه غضب الله وعذابه ثم يتيه في الأرض كما تاهت بنو إسـرائيل في عهـد موسـى ويستبدلهم الله تعالى بقوم آخرين ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ [التوبة 39]، فترك الجهاد والحرص على الحياة من الموجبات الأساسية لعملية الاستبدال كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَـأْتِي اللَّـهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة 54].

والردة عن الدين تتجسد أساساً في ترك الجهاد في سبيل الله، لأن الجهاد هو ذروة سنام هذا الدين، والوسيلة الـتي تحمي بيضته، وقد اتضح هذا في قول رسول الله ﷺ «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالـزرع ، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم» وفي رواية "حتى ترجعوا إلى دينكم" وكأن الرجوع إلى الدين يكون بالرجوع إلى الجهاد في سبيل الله.

فلا مفر من عملية الاستبدال حينما تتوفر موجباها، وأهم هذه الموجبات هو إلغاء الجهاد من قاموس وسائل العمل الإسلامي، واستبداله بوسائل مشبوهة وبدعية كالتي نراها اليوم في الساحة.

الجيل البديل

• لقد انتهى عهد التيه لهذه الأمة، وظهر جيل الأمل والبديل، متمثلاً في هذه الطلائع المنتشرة هنا وهناك.

لقد انتهى عهد التيه لهذه الأمة، وظهر جيل الأمل والبديل، متمثلاً في هذه الطلائع المنتشرة هنا وهناك وعلى رأسها جيل الجهاد الذي يقوده الشيخ أسامة بن لادن – حفظه الله – وكل أنصاره في مشارق الأرض ومغاربها، ويتمثل أيضاً في إمارة طالبان بقيادة الملا عمر حفظه الله تعالى، ولا ننسى التجمعات الجهادية الأخرى في بلاد القوقاز وجنوب شرق آسيا وشمال إفريقية وفي بلاد الشام، كلها نهضت لتحل محل الأجيال التائهة، ولتعيد إلى الأمة قوتها وإلى الحق نصاعته، وبدأ العذاب والغضب الإلهي يتزل على أعداء الأمة من صليبيين ويهود وهندوس ومرتدين ومنافقين، سواء بتسليط وسائل العذاب التي طالت الأمم العابرة كالطوفان والزلازل والحرائق، أو بتسليط هذه الأجيال البديلة عليها، لتسومها سوء العذاب ولتكون غصة في حلقها، لا تعرف معها الراحة والأمن والسلام، وهذا هو الواقع المعيش.

إننا نعيش انقلاب الصورة، حيث أصبح أعداؤنا تحت رحمة ضربات المجاهدين في كل مكان، وصاروا هدفاً سهلاً وميسوراً، بعد أن قذف الله في قلوبهم الرعب ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر 13]، ونزع الخوف من قلوب الجيل البديل ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِم﴾ [المائدة 54].

لقد انتهى عهد التيه، وحلَّ محله عهد الهدى والرشاد، وصارت عصابات من المسلمين – رغم قلتهم – من أبصر الناس وأهداها على ظهر البسيطة ، فأخذت راية الجهاد عالية خفاقة ، تبدد الظلام وتكسر الحدود والقيود ، وتهدم السدود، وتحرر النفوس ، وتهدي الملايين من حيارى المسلمين ، بفضل هذه الاستماتة في خدمة الغاية الكبرى ، عبادة الله عز وجل حق عبادته ، وطلب الشهادة ، ففتح الله على أيديها قلوباً غلفاً وعيوناً عمياء وآذانا صماء ، وصارت تقود هذه الجموع إلى بر الأمان ، وصرنا نسمع " إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون" بدلاً من قول جيل التيه والتقاعس ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[المائدة 24].

كانت تلك أهم المحطات التي تسبق عملية الاستبدال على مستوى الأفراد والجماعات والأمم، وكانت هذه أهم صفات الجيل البديل، الذي أعاد للأمة قوتها ومكانتها بين الأمم رائدة وقائدة وهادية وشاهدة، كما أراد الله لها أن تكون ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران 110]. ♦

لمتابعة أخبار الجهاد
المرجو زيارة المواقع التالية

http://www.alemarh.com/
http://www.jehadonline.org//
http://www.simplicithi.net/1/images/indexx/
http://www. qoqaz.com
http://www.waislamah.net/index.php
http://www.kic.org.pk/arabicdaily.htm
http://www.alasra.org/



يمكنك تحميل جميع مقالات مجلة الأنصار
على هيئة نصوص W من موقع



http://www.jehadonline.org/alansar_magazine



تذكروا إخوانكم الأسرى وواجب فكاكهم
ولا تنسوهم من الدعاء الصادق
في قنوتكم وعند فطركم